الطبيعة

بقلم رفيق فاخوري

تحنو على عهودها النفسُ ولا تستطيع أن تصبر عن لقائها
كأنما حَلّ بجسمي روحها وفي عروقي سابَ من دمائها

* * *

بكرٌ لها منها حُلًى دانيةٌ لكل جسٍ بينهنّ مسلكُ
لي من مرائيها شخوصٌ أجتلي تَحْيايَ في وصالها وأدرك

* * *

مطبوعةٌ طبعَ الحياة العاريهْ غبطتُها وحزنها علانيهْ
تستقبلُ الأجيالَ في ثوبٍ إذا أبلته عادت فارتدته ثانيـــه

* * *

قديمةٌ ، آثارُ يُحْيِيها ، ولا يمحو بِلَى الخريفِ من جلالها
يمشي عليه الدهرُ وهي عنه في شُغْلٍ فلا تُلْقي إليـــه بالها

* * *

لها البقاء حين تغدو رِمَماً منسيّةً لا تهتدي لها الذِكَرْ
يا ليت لي عيناً كمرآة الضُحَى ترعى بَجاليها إذا غابَ النظر

* * *

أحببْ بها خرساءَ حُمَّتْ شمسُها فألهبتْ أنفاسَ كل ذي حَرَكْ
وهيمنَ الصمتُ على أرجائها كأنْ بِمَنْحَى الكونِ قد دارَ الفلكْ

* * *

واستحوذتْ على الورى إغماءةٌ ثقيلةٌ ، سلطانُها لا يُدْفَعُ
وَعَرَتِ الأطيارَ سكتةٌ فما يَنْغَمُ في سُبـــاته مرجِّعُ

* * *

والنهرُ لهيانٌ وللماء به مَسارِبٌ يَسْبَحُ فيها الخاطرُ
والسهلُ في غيبوبةٍ مستغرقٌ مَيْتٌ وفيـه تلتقي العناصر !

* * *

أحببْ بها كَسْلَى تولّى جسمَها بعد اقترارٍ ومراحٍ خَدَرُ
واحتبسَ النسيمُ محروراً فما يَشيعُ في الفضاء عنها خَبَرُ

* * *

أغرقُ في سحرائها كآبةً تَنْسُجُ في قلبي غماماً أسودا
وأشتهي لُقْيانها سُوَيْعَةً أنْسى بها نفسي ولا أرعى غداً

مصر رفيق فاخوري

فصول ملخصة في الفلسفة الالمانية

١٥ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

فردريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

يؤمن نيتشه بأن حياة الانسان هي تضال دائم لكل وهم ولكل خطأ . وينظر إلى الوجود بعيني متشائم ؛ فتبدو الطبيعة له صورة تبعث الخوف ، والتاريخ وحشياً خالياً من المعاني ؛ ينفر ممن يؤمن بأن كل شيء هو للأحسن ! ولا يعتقد بأن في وسع الحياة أن تهب لنا لحظة فرح حقيق . وإذا كانت هذه هي الحقيقة فواجب الانسان السامي أن يحارب بدون هدنة ولا هوادة كل ما هو سيء ، وأن يهدم كل القيم الخاطئة والتعاليم الفاسدة ، وألا يرحم أي مظهر من مظاهر الضعف والرياء والجبن في هذه الحضارة . (إنني أحلم برجال كاملين ، مطلق الارادة ، لا يدارون ولا يراءون . يدعون أنفسهم الهدامين . يخضعون كل شيء لنقدهم ويضحون بأنفسهم في سبيل الحقيقة . ألا ينبغي لكل سيء ولكل كاذب أن يظهر تحت وضح النهار ؟ نحن لا نريد أن نبني قبل الساعة الموقوتة ، ونحن لا ندري إذا كان بامكاننا أن نبني ، أو إذا كان الأحسن لنا ألا نبني أبداً . هنالك متشائمون كسالى خاضعون مستسلمون ؛ إننا لا نكون من هؤلاء . إن المثل الأعلى الذي نتبعه ونترسمه هو الانسان الذي قال عنه شوبنهاور ، من يعتقد بأن السعادة الحقيقية هي غير ممكنة ، ومن يبغض ويمقت الوجود المادي الذي تتكامل فيه الانسانية المنحطة ، ومن يسحق كل ما ينبغي سحقه ولا يشعر بألم يحز في نفسه ، أو ينتشر حوله ؛ ويمشي بارادة جبارة لا يلويه عن عزمه شيء ، وكل إرادته أن يكون مع الحق والصدق في كل شأن من شؤونه .)

يصل شوبنهاور بانسانه إلى سلب الحياة منه والفناء المطلق ، أما نيتشه فانه يقدس (كاليونانى الديونوزوسي) هذه الارادة التي تريد الحياة الخالدة وتعمل على تخليدها بأية الوسائل . فهو متشائم ، لكن تشاؤمه لا يدفعه إلى الاستسلام ، ولكن إلى البطولة الفاضلة . فهو يرى الزهد علامة من علامات الانحطاط والذل . لأن التشاؤم – عنده – فكرة مستحيل تحقيقها ، لا يقبل

بها واقع ولا يثبتها منطق ، ولن يكون الفناء غاية الوجود ، وهكذا راح نيتشه يمجد الحياة وآلامها بدلاً من أن يبشر بالفناء وبقبض الحياة كلها ؛ يقدس مايقوى فى الانسان إرادته ، ويضاعف عزيمته للوصول إلى الهدف الأسمى

ونيتشه فى هذا شأنه شأن اليونان فى مآسيهم ، يفخر بذاته ، ويطول بسموه ، ويعجب بالحضارة اليونانية لأنها انشأت جماعة من الرجال السامين ، وهل غاية الحياة إلا مثل هـذا التوليد ؟ والانسانية عنده تركض وتتألم وتتمخض لتلد هذا العدد الضئيل من هؤلاء الرجال السامين . « وإنما على الانسانيـة أن تعمل لتحمل إلى الأرض رجال عبقرية ، هذه غايتها ، ليس لها من بعدها غاية ! وإن علينا أن نوحى اليها أن تعجل بتوليد الفيلسوف والفنان فينا وفى غيرنا . وأن نسعى إلى إكمال معنى الطبيعة ؛ وأن على الانسان أن يحس بنفسه أنه صنع غير كامل من صنع يدها . ولـكننا نوقظ فيه — برغم نقصه — هذه العبقرية الفنية حتى يساعد الطبيعة على إكمال ماجاء ناقصاً منها ،-وبهذا يكمل الانسان الفنان صنع الطبيعة . وبهذا تغدو معرفة الانسان نفسه وشعوره بصغرها هى أساس نهضته . . .

« ألا إننى أرى فوق شيئاً يتألق ؛ هو أسمى منى ، فيه من معنى الانسان أكثر مما فىّ ! فساعدنى على الوصول إلى هذا المثل ؛ كما أننى سأعمل على مساعدة من يفكر مثلى ويتألم مثلى . . . كل ذلك لنمهد الطريق أمام ذلك الانسان المقبل ، الشاعر بكماله ومعرفته الواسعة ، وعبقريته العميقة التى لا تحد ، وقدرته الوالدة وتأمله البعيد : هذا الانسان الذى سيحيا فى الأرض حاكماً ، بيده مقياس كل شىء » فلا يجب والحالة هذه أن نترك للمصادفات عمل هذا الانسان ، وإنما ينبغى للناس أن يجهدوا ويعملوا بالانتخاب على خلق هذه الذرية — ذرية الأبطال — على أن هذا المذهب قد يترك جحفلاً من العبيد الذين شأنهم أن ينفذوا ارادة الأبطال . والعبودية — عند نيتشه — لازمة لتحقيق مثل هؤلاء الأبطال . إذ ليست غاية العلم والبراعة أن تخفف من نصب هؤلاء المتعبين . فعمال اليوم ليسوا بأكثر سعادة من عبيد الأمس . هؤلاء كانوا يخضعون لشرفاء ذوى غطرسة وخيلاء . وأولئك دائبون على خلق نخبة سامية من رجال العبقرية ، فالبطل ليس دأبه بأن يحقد على المظلومين والمتخلفين فحسب ، بل مما ينبغى له أن يقتل عامل الشفقة فى صدره إذا هب لأنه عامل خطر . إذا ظفر عمل على قتل البراعة فى سبيل السعادة المادية للانسانية . وهو — هنالك — لا بد مصطدم بالشريعة الغالبة التى تسيطر على الوجود . وكل من ود أن يحيا ، أو حكم عليه بأن يحيا فى وجود مشحون بالألم والفناء أفينبغى له أن تشتمل نفسه على هذه المضادة المؤلمة التى تعبر عن كنه الحيـاة ، وسر كل تطور واستحالة . . . « كل لحظة تفترس الثانية . وكل ولادة هى موت كائنات لاعـداد لها . الولادة والحياة والموت كنه ذو جوهر واحد . وهكذا نستطيع أن نشبه البراعة المنتصرة بالبطل الظافر الذى يسيل دمه من جراحه ، ولـكنه يجر خلفه قطيعاً من المغلوبين والعبيد المقيدين بعجلته »

ينبغى لنا إذا أردنا الحقيقة أن نضرب بكل وهم باعث على التفاؤل عرض الحائط . فالرجل الغربى الذى يظن ببساطة نفسه أن العلم يبعث على السعادة ، ويرى أن سعادة الجميع هى غاية الحضارة القصوى ؛ هذا الرجل يجرب أن ينكر تعس « العبيد » هذا التعس اللازم للمجتمع البشرى . وهو يموه عليهم بقداسة العمل ، زاعماً أن الآكل بعرق جبينه هو أشرف الناس . فيا له من مذهب حقير أصبح لا يخدع أحداً ! ولماذا لا نعترف بأن العبودية هى حقار وصغار ، ولـكننا نستطيع أن نخفف وقعها ونجعلها أقل شقاء ، ونحتم على أصحابها القبول بها . . . فما زال المجتمع الانسانى على هذا الوضع فان فيه الأقوياء الذين يرفعون عظمتهم على طائفة من المستضعفين فى الأرض !

* * *

كان المدفع يدوى فى جوف أوربا ، ونيتشة معتزل فى أحد وديان « الالپ » يعالج درس الروح اليونانية وفنهم وحياتهم . ولما استقر السلام أعلن أن عصر الأحزاب قد شارف النهاية . وأن روحاً حرة يجب أن تنهض وتعرف كيف تتعالى فوق هذه الحدود ! « إن الشرق والغرب مفصولان بشحطة يرسمها قلم لأعيننا ، هذه الشحطة هى التى تثير خوفنا . تقول النفس الفتية (أنا أجرب بأن أكون حرة !) وحق لها أن تثور ، لأنهـا ترى أن شعبين قد يهرقان دماءهما لأن بحراً يفصل بينهما ، أو لأن ديانتين مختلفتين عندهما لم تكونا قبل ألفى عام » وهكذا نرى نيتشه بكل ما أوتى من تفكير وقوة يريد أن يزعزع تقاليد عصره ، ويشعر بنفسه بأنه لم يخلق لحاضره وإنما خلق للأجيال القادمة

(يتبع) مفيد الشوباشى